

# سماحة الإسلام فى الجانب الاجتماعى

أ.د/ أحمد عبد المبدى أحمد النجمى (\*)

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي خلق البشر جميعاً من أب واحد وأم واحدة واختار منهم مبشرين ومنذرين لهدايتهم جميعاً إلى صراط الله المستقيم، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أرسله ربه رحمة للعالمين وعلى جميع إخوانه الأنبياء والمرسلين وعلى جميع الآل والصحب والتابعين.

وبعد،

لقد جاء الإسلام ليُعلم الأخوة الإنسانية ويبشر بالدعوة إلى المحبة والتضامن، ويبطل كل عصبية، ويسلك بالناس جميعاً طريق الخير والعزة، ويقرب بين النفوس المتنازعة والقلوب المتطاحنة والمشاعر المختلفة، ويجمع الناس جميعاً فى وحدة لا تفرق بين هذا وذاك، بل تسوى بين الجميع فى الحقوق والواجبات.

والتاريخ يؤكد أن الإسلام حقق هذه المعانى فى صورة رائعة جليلة، ومن المعلوم أيضاً أن الدعوة إلى الإسلام بدأت بالحكمة والموعظة الحسنة، وحتى إذا وصل الأمر إلى مرحلة المجادلة، فهى بالتى هى أحسن، وهذا يدل دلالة واضحة على مدى عظم سماحة الإسلام، سماحة لا يستطيع أى أحد إنكارها إلا إذا كان بعيداً عن الحق

---

(\*) الأستاذ المساعد بقسم الأديان والمذاهب - كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة.

وكارهاً للحقيقة ، وهذا ما دعانى إلى الكتابة عن سماحة الإسلام وفي جانب من أهم الجوانب وأقربها إلى الإحساس البشرى، وهو الجانب الاجتماعى، وقد اشتمل هذا البحث على هذه المقدمة وعلى مدخل وثلاثة مطالب وخاتمة على النحو التالى:

المدخل : مفهوم السماحة والإسلام.

المطلب الأول : سماحة الإسلام فى العلاقة بين ذوى القربى.

المطلب الثانى : سماحة الإسلام فى العلاقة مع المسلمين.

المطلب الثالث : سماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين.

الخاتمة : وتشمل أهم المراجع والفهرس.

والله الهادى إلى سواء السبيل

## المدخل

### مفهوم السماحة والإسلام

تجدر الإشارة في البداية إلى مفهوم كل من السماحة والإسلام حتى يستطيع القارئ الكريم أن يلم بمعظم جزئيات هذا البحث المتواضع وهذه الإشارة ستتحصر - بمشيئة الله تعالى - في هاتين النقطتين:

#### النقطة الأولى : مفهوم السماحة :

أولاً : المفهوم اللغوي: فقد ورد حول مادة سمح: (سمح السماح والمسامحة: الجود، وسمحَ سَمَاحَةً وَسُمُوحاً وَسَمَاحاً: جاد، ورجل سَمَحَ وامرأة سَمِحة من رجال ونساء سماح ونساء فيهما، حكى الأخيرة الفارسي عن أحمد بن يحيى.

ورجل سميح ومِسمَاح: سَمَحَ، ورجال مساميح ونساء مساميح،

قال جرير :

غَلَبَ المساميح الوليدُ سماحةً وكفى قریش المعضلات وسادها

وفي الحديث: يقول الله - عز وجل - : (اسمحو لعبدي كما سماحه

إلى عبادي)، الإسماح: لغة في السماح، يقال: سمح وأسمح إذا جاد وأعطى عن كرم وسخاء، وقيل: إنما يقال في السخاء سمح، وأما أسمح فإنما يقال في المتابعة والانقياد، ويقال: أسمحت نفسه إذا انقادت ، والصحيح الأول.

والمسامحة: المساهلة، وتسامحوا: تساهلوا وفي الحديث

المشهور: (السماح رباح) أي السماحة في الأشياء تريح صاحبها.

وسمح وتسمح: فعل شيئاً فسيئاً فيه، أنشد ثعلب :  
ولكن إذا ما جل خطب فسامحت به النفس يوماً كان للكره أذهباً  
ولقولهم: الحنيفية السمحة: ليس فيها ضيق ولا شدة<sup>(١)</sup>.  
وقيل: (سمح سماحاً وسماحة: بذل في العسر واليسر عن كرم  
وسخاء، وسمح سماحة وسموحة: لان وسهل ، فهو سمح وسميح،  
وسامحه: عفا عنه، ويقال في الدعاء: سامحك الله، ويقال سامحه بذنبه.  
تسامح في كذا: تساهل، السمحة يقال شريعة سمحة: فيها يسر  
وسهولة<sup>(٢)</sup>).

وقيل: "سَمَحَ يَسْمَحُ سَمَاحاً: جاد وسمح يسمح سماحة صار من  
أهل السماحة فهو سَمَحٌ وسميح، وتسامح، تساهل، وتسمح فيه:  
تساهل"<sup>(٣)</sup>.

وبالنظر والتفكير في المعنى اللغوي لمادة سمح، يلاحظ شموله  
لمعاني: الجود والبذل والانقياد، والسهولة واليسر، والبعد عن الضيق  
والشدة، وجميع هذه المعاني بينيا ارتباط وثيق، فالجود والبذل لا  
يتحققان إلا إذا سبقهما الانقياد والخضوع المشروع، كما لا يكتملان إلا  
بطريق السهولة واليسر بعيداً عن الضيق والشدة.

(١) راجع لسان العرب لابن منظور - المجلد الثاني، مادة سمح ، ص ٤٨٩ - ط

الأولى - م دار صادر بيروت.

(٢) المعجم الوجيز - مجمع اللغة العربية - مادة سمح - ص ٣٢٠ - طبعة خاصة  
بوزارة التربية والتعليم، عام ١٩٩١م.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - المجلد الخامس - ص ٢٩٧ -  
ط الثالثة - م دار المعرفة بيروت.

ثانياً : المفهوم الاصطلاحي : يقول مسكويه: "وأما السماح: فهي بذل بعض ما لا يحب، وأما المسامحة: فهي ترك بعض ما يحب، والجميع يكون بالإرادة والاختيار"<sup>(١)</sup>.

فالسماحة إذاً هي التعامل مع الغير بسهولة ويسر ورضا عن كل ما يبذله المتسامح سواء فعل ما لا يحب أو ترك ما يحب فالأمر عنده سواء ، فهو صاحب خلق رفيع ومروءة عالية.

### النقطة الثانية : مفهوم الإسلام :

أولاً : المفهوم اللغوي : (وأسلم لله فهو مسلم، وأسلم: دخل في دين الإسلام، وأسلم: دخل في السلم وأسلم أمره الله، وسلّم أمره الله بالتقيل لغة، واستسلم: انقاد"<sup>(٢)</sup>).

وقيل: (الإسلام والاستسلام: الانقياد، والإسلام من الشريعة: إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ وذلك يُحقن الدم ويُستدفع المكروه، وما أحسن ما اختصر ثعلب ذلك فقال: الإسلام باللسان والإيمان بالقلب.

وأما الإسلام فإن أبا بكر محمد بن بشار قال: يقال فلان مسلم وفيه قولان: أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله العباد، من قولهم سلم الشيء لفلان: أى خلّصه، وسلّم له الشيء أى خلّص له، وروى عن النبي ﷺ أنه قال: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) قال الأزهري: فمعناه أنه دخل في باب السلامة حتى يسلم

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - لابن مسكويه - تحقيق ابن الخطيب - ص ٣١ ط الأولى ، م المطبعة المصرية.

(٢) راجع: المصباح المنير للفيومي - مادة سلم - ص ٢٨٧ - م دار المعارف.

المؤمنون من بوائقه .. فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به سيدنا رسول الله ﷺ وبه يُحقن الدم، فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذي هذه هي صفته<sup>(١)</sup>.

والمتدبر لهذا المعنى اللغوي للإسلام يلاحظ واضح شموله واحتضانه للمعنى اللغوي للسماحة، يفهم ذلك من خلال معاني الخضوع والانقياد والإخلاص لله تعالى ولمنهجه ولهذا لم تكن هناك حاجة لورود كلمة السماحة في القرآن الكريم حيث أن الإسلام كله والإيمان جله بكل ما يشتملان عليه من معان هما الممثلات للجانب العقدي والجانب العملي لأخلاق القرآن الكريم.

ثانياً : المفهوم الاصطلاحي : تتعدد مفاهيم الإسلام لدى العلماء والباحثين، ولكنها جميعها تتضافر وتتعاون لتعطي المفهوم اللائق بالإسلام، هذا الدين الخاتم الذي يتضمن المنهج الإلهي الذي به صلاح الدنيا وسعادة الآخرة.

الإسلام هو الدين الخاتم للأديان السماوية، أوحى به الحق - تبارك وتعالى - إلى رسوله ونبيه محمد ﷺ في مكة: دعوة إلى التوحيد الخالص، وكتابه هو القرآن الكريم.

فالإسلام يقوم على توحيد الله، وإلغاء الوثنية والتعدد، ونبذ عبادة الأوثان، والاعتراف بجميع الأنبياء والرسل السابقين والكتب المنزلة والملائكة، والإيمان باليوم الآخر، وقد جاء ديناً عالمياً للبشرية كلها وللإنسانية كافة، قام على أساس العلاقة المباشرة بين الله - تعالى -

---

(١) راجع : لسان العرب لابن منظور - المجلد ١٢ - مادة سلم - ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ .

والإنسان وشجب كل الوسائط والعلائق ، وجاءت دعوته جامعة بين الدين والدنيا، وبين القلب والعقل ، وبين الروح والمادة ومستهدفة إقامة منيخ ربانى قوامه إقرار الإرادة الإنسانية، وحرية الاختيار، والمسئولية الفردية، والالتزام الأخلاقى والجزاء الأخرى.

وقد جمع الإسلام بين العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق فى نسق متكامل بوصفه أسلوب حياة، ونظام دولة، ودستوراً شاملاً لصالح الإنسانية جمعاء.

والإسلام شرعاً : هو الأعمال الظاهرة من التلفظ بكلمة الشهادة، والإتيان بالواجبات، والانتهاى عن المنهيات، وعلى هذا فهو يغير الإيمان ولا ينفك عنه، وقيل: إن الإيمان تصديق قلبى، والإسلام طاعة وانقياد ظاهرى<sup>(١)</sup>.

والمأمل لهذه المعانى لا يغيب عنه ما تترين به وتتجمل من سماحة ويسر ومحبة ووثام ، وبعد هذا الإيضاح اليسير لمفهومي السماحة والإسلام، ننقل - بمشيئة الله - إلى ما يؤكد هذه المفاهيم، وسماحة الإسلام ويسره وسعوانته، تظهر واضحة فى كل ما جاء به الإسلام من عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاق، ولا يتسع المقام لتناول سماحة الإسلام فى كل هذه الجوانب، ولذا سيقصر هذا البحث على محاولة إيضاح سماحة الإسلام فى الجانب الاجتماعى، هذا الجانب الذى نال عناية فائقة من التوجيه الإسلامى لتقويمه وإصلاحه، والنهوض به

---

(١) معلمة الإسلام - الأستاذ أنور الجندى - ج ١ - ص ٢٣ - بتصرف يسير ، ط الثانية - م دار الصحوة.

إلى الرقى البشرى والمثالية الإنسانية، فقد وظف الإسلام كل محتوياته لهذا الغرض النبيل ، بل إن كل رسالة إلهية سبقت الإسلام كانت من أجل هذا الغرض بالقدر المناسب ، وجاء الإسلام بالمنهج الكامل والمستمر القدرة والكفاءة إلى قيام الساعة.

فالعقيدة الإسلامية ، والتي يمثل جوهرها التوحيد الخالص إنما هدفت في البداية إلى إصلاح المجتمع، (وخالصة التوحيد : حسن السير والسلوك مع الآخرين)<sup>(١)</sup>.

والعبادات في الإسلام إنما الغرض منها تهذيب السلوك البشرى وتقوية نوازع الخير وإضعاف بواعث الشر لأجل إصلاح العلاقات بين البشر، والمتأمل في الآيات التالية يلحظ ذلك جيداً، يقول الله تعالى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٥]؛ ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠]، ويقول جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ويقول عز وجل: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِي يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام - وحيد الدين خان - ص ٨٢ - ط الأولى - دار الصحوة.

فكل العبادات فى الإسلام تدعو إلى تقويم الأخلاق وتهذيب السلوك إما لكونها - فى جوهرها - تنهى عن الفحشاء والمنكر كالصلاة ، أو لكونها تدعو إلى مساعدة المحتاجين من طوائف المجتمع كالزكاة والصدقة، أو لكونها تدعو إلى التقوى التى تتمثل فى مراقبة الله تعالى فى كل حال ومع أى كائن كالصوم والحج.

والمصدر الأول للإسلام وهو القرآن الكريم، كله دعوة إلى أسس الخير فى الدنيا والآخرة، وتصحيح وتوحيد لعلاقة الخلق بخالقهم، وعلاقة الخلق بعضهم مع بعض، وفيه الهداية الكاملة إلى أقوم طريق: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقد بين الله تعالى أن الرحمة فى اتباعه ، والاعتصام به: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، كما بين سبحانه أن فى النكوص عنه، والبعد عن هدايه، وعدم الاعتصام بحبله بعداً عن حقيقة الدين وجوهره، وانفصالاً عن الله ورسوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعَابًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]<sup>(١)</sup>.

ولما كان الجانب الاجتماعى يتمثل فى علاقة الفرد بذوى رحمة وبإخوانه فى الدين وبرفاقه فى الحياة من غيرهم، استدعى توضيح سماحة الإسلام - فى هذا الجانب - تناول هذه المحاور من خلال المطالب الثلاثة الآتية :

---

(١) منهج الإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق - د/ أحمد عمر هاشم - ص ٩١ - ط الأولى - دار المنار للنشر والتوزيع.

## المطلب الأول

### سماحة الإسلام في العلاقة بين ذوى القربى

إذا أريد لأى بناء أن يكون قوياً وسليماً فلا بد أن يبنى على أسس متينة ، والتعهد بالإجادة والإتقان لكل مراحلها، وبعد إتمامه لابد من تعهده بالصيانة والرعاية الكاملتين والمتواصلتين حتى يكون سليماً من أى عطب على مرور الزمن وتعاقب مراحلها، وإن الباحث البصير ليجد أن الإسلام - بسماحته ويسره - نبه الفكر البشرى إلى ذلك من خلال منهجه المتكامل ودعوته الدائمة إلى بناء المجتمع بناءً سليماً، ورعايته رعاية متكاملة متواصلة، فيلاحظ عظيم اهتمامه بالمجتمع بداية من أصغر وحدة فيه إلى المجتمع بكامله.

فسماحة الإسلام بالنسبة للعلاقة بين ذوى القربى تتمثل فى النقاط

الآتية:

١- العلاقة بين الزوج والزوجة : لما كانت العلاقة بين الزوجين تعتبر هى الأساس الأول لتكوين المجتمع بكل مكوناته، فقد نالت هذه العلاقة قدراً كافياً من اهتمام الإسلام وسماحته ومما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١]، "من تمام رحمة الله ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة وهى المحبة ، ورحمة وهى الرأفة أو الألفة بينهما"<sup>(١)</sup>، ولو نظرنا إلى الآية الكريمة لوجدناها قد أشارت إلى

(١) تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ ابن كثير - ج ٣ - ص ٤٢٩ - مكتبة التراث الإسلامى سوريا - حلب.

أهمية هذه العلاقة، فأشارت إلى أنها آية من آيات الله، وذلك في أولها، وأشارت في نهايتها أن في هذه العلاقة آيات تدل على عظمها وأهميتها لمن لهم عقول تتفكر في آيات الله تعالى وعظيم صنعه.

وكذلك يشير إلى التسامح في هذه العلاقة قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِنَدَاهُمْ بِبَعْضِ مَا اتَّيَمُّوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]، (والمعاشرة: مفاعلة من العشرة، وهي المخالطة والمصاحبة، أى وصاحبوهن وعاملوهن بالمعروف، أى بما حض عليه الشرع وارتضاه العقل من الأفعال الحميدة والأقوال الحسنة)<sup>(١)</sup>، ويقول الإمام ابن كثير - مشيراً إلى مدى عظم سماحة الإسلام في هذه العلاقة - : وقوله تعالى: "وعاشروهن بالمعروف" أى طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيأتكم بحسب قدرتكم كما يحب أحدكم ذلك من زوجته، فليفعل معها مثله، كما قال تعالى: "ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف"، وقال رسول الله ﷺ: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى"، وكان من أخلاقه ﷺ أنه جميل العشرة، دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقة، ويضاحك نساءه حتى أنه كان يسابق السيدة عائشة - رضى الله عنها - يتودد إليها بذلك .. وكان ﷺ إذا صلى العشاء يدخل منزله يتسامر مع أهله قليلاً قبل أن ينام يؤانسهم بذلك ﷺ<sup>(٢)</sup>.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د/ محمد سيد طنطاوى - المجلد الثالث - ص ١١٧ - ط الثانية - مطبعة السعادة.

(٢) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير - ج ١ - ص ٤٦٦ - بتصرف.

ويقول صاحب إحياء علوم الدين - رحمه الله تعالى - مدلاً على سماحة الإسلام في هذه العلاقة : (وأعلم أنه ليس حسن الخلق معها - أي مع الزوجة - كف الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل .. وعلى الزوج أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمرح والملاعبة، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والخلق)<sup>(١)</sup>.

فهذه نظرة سريعة إلى سماحة الإسلام بالنسبة للعلاقة بين الزوجين اللذين يمثلان أول لبنة في بناء المجتمع.

٢- العلاقة بين الوالدين والأولاد : بعد خروج الأولاد للحياة تنشأ علاقة حميمة من الوالدين تجاه أولادهما، ولكن هذه العلاقة قد تشوبها بعض المكدرات بمرور الوقت ، وخاصة عندما يبلغ الوالدان الكبر، وتتزايد مسئوليات الأولاد، ونجد الإسلام يحرص ويعمل على أن تظل هذه العلاقة منتعشة قوية يسودها الإحسان والحسن بعيداً عن الانهيار والضعف، ولا أدل على ذلك من آيات القرآن الكريم ، والتي قرنت في معظمها الإحسان بالوالدين بعبادة الله تعالى ، يقول جل شأنه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا \* وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

(١) راجع إحياء علوم الدين - للإمام الغزالي - المجلد الثاني - ص ٤٣-٤٤ - المكتبة التجارية الكبرى.

قال الإمام الرازي عند تفسيره للآية الأولى: (وأقول لفظ الآية مشتمل على قيود كثيرة ، كل واحد منها يوجب المبالغة في الإحسان إلى الوالدين: أحدها: أنه - تعالى - قال في الآية المتقدمة "ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا" ثم إنه تعالى أرفقه بهذه الآية المشتملة على الأعمال التي بواسطتها يحصل الفوز بسعادة الآخرة، فذكر من جملتها البر بالوالدين، وذلك يدل على أن هذه الطاعة من أصول الطاعات التي تقيد سعادة الآخرة.

وثانيها : أنه تعالى بدأ بذكر الأمر بالتوحيد وثنى بطاعة الله تعالى وثلاث بالبر بالوالدين ، وهذه درجة عالية ومبالغة عظيمة في تعظيم هذه الطاعة.

وثالثها : أنه تعالى لم يقل وإحساناً بالوالدين ، بل قال: "وبالوالدين إحساناً" فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام.

ورابعها : أنه قال: "إحساناً" بلفظ التتكير، والتتكير يدل على التعظيم، والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحساناً عظيماً كاملاً، وذلك لأنه لما كان إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة وجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك، ثم على جميع التقديرات فلا تحصل مكافأة لأن إنعامهما عليك كان على سبيل الابتداء ، وفي الأمثال المشهورة: أن البادئ بالبر لا يكافأ<sup>(١)</sup>.

ويقول تبارك وتعالى ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا  
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ﴾ [النساء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ

---

(١) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي - ج ٢٠ - ص ١٨٦ - ١٨٧ - ط الثالثة - دار إحياء التراث العربي - بيروت.

بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴿الأحقاف: ١٥﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

وعن عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه قال سألت رسول الله ﷺ أى العمل أحب إلى الله قال: "الصلاة على وقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله" رواه البخارى ومسلم<sup>(١)</sup>.

٣- العلاقة بين ذوى الأرحام : لما كانت العلاقة بين ذوى الأرحام تشوبها بعض المكدرات بسبب التقارب والاحتكاك، حرص الإسلام حرصاً بليغاً على أن يغرس السماحة والوفاق بين ذوى الأرحام، حيث أن العلاقة بين الأقارب تمثل مرحلة أساسية من مراحل بناء المجتمع، وكما سبقت الإشارة إلى أن الإسلام أهتم اهتماماً لايقاً بكل مراحل تكوين المجتمع، ولم يغفل مرحلة لحساب مرحلة أخرى، وهذه هى سمة وحقيقة منهج الله تعالى لإصلاح خلقه، وإذا نظرنا إلى سماحة الإسلام، نجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى اهتمت بتقوية هذه العلاقة وإصلاحها:

ومن الآيات القرآنية: قول الله تبارك وتعالى: ﴿.. وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، وقوله سبحانه: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقوله جل شأنه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى - كتاب البر والصلة وغيرهما - الترغيب فى بر الوالدين وصلتها - ج ٣ - ص ٢١٣ - مكتبة شباب الأزهر.

أَنْ تَقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد: ٢٢]، وقوله عز من قائل: ﴿فَاتَّذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨]، وكذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، ومن هذه الآيات الكريمات قول الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَالِ الَّذِينَ إِخْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ..﴾ [النساء: ٣٦]، فجميع هذه الآيات وغيرها من الآيات القرآنية الأخرى تدعو دعوة قوية إلى أن يسود العفو والتسامح والوفاق والوئام - العلاقة بين ذوى الأرحام ، لكى تتسجم هذه المرحلة المجتمعية مع ما قبلها وما بعدها من المراحل البنائية للمجتمع.

وبالنسبة للأحاديث النبوية - بخصوص هذه العلاقة - فهى من الكثرة بمكان، ولكنى أذكر بعضاً منها:

عن انس بن مالك - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "من أحب أن يُبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه"<sup>(١)</sup>، وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها"<sup>(٢)</sup>.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم

(١) صحيح البخارى بحاشية السندى - كتاب الأدب - باب من بسط له فى الرزق بصلة الرحم - ج٤ - ص٤٩ - دار إحياء الكتب العربية. وصحيح مسلم بشرح النووى - نفس التحرير السابق - ج١٦ - ص١١٤ - مطبعة دار الفكر.

(٢) صحيح البخارى - كتاب الأدب - باب ليس الواصل بالمكافئ - ج٤ - ص٥٠ .

ويجهلون على، فقال: "إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المنّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك"<sup>(١)</sup>.

وأخرج البزار عن جابر رضى الله عنه أن جويرية رضى الله عنها قالت للنبي ﷺ: إني أريد أن أعتق هذا الغلام، قال: "أعطه خالك الذى فى الأعراب يرعى عليه فإنه أعظم لأجرك"<sup>(٢)</sup>.

هذه بعض آيات القرآن الكريم وبعض أحاديث الرسول ﷺ والتى حرص كل منها على تقوية وإنماء العلاقة الصالحة بين ذوى القربى، والدعوة إلى تعاهدها بالرعاية والتغاضى عن بعض السلبيات لا لشيء من غرض أو هوى، وإنما ابتغاء مرضاة الله عز وجل وطمعاً فى عظيم مثوبته وكريم عطائه.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب البر والصلة والآداب - باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها - ج ١٦ - ص ١١٥ .  
(٢) حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوى - ج ٢ - ص ٥١٩ - مكتبة الدعوة الإسلامية.

## المطلب الثانى

### سماحة الإسلام فى العلاقة بين المسلمين

اهتم الإسلام اهتماماً واضحاً بأن تسود السماحة والعمو والحلم العلاقة بين جميع فئات المجتمع الإسلامى، وخاصةً وبدرجة أوضح بين الفئات التى تحتاج إلى قدر أوفر من التسامح والعمو.

ومن هذه الفئات ، والتي قد يتوهم المتوهمون أن الإسلام قد أغفلها أو لم يعطها حقها من العناية: فئة النساء والأطفال، وتوضيحاً لذلك، سيتناول هذا المطلب - بمشيئة الله تعالى - سماحة الإسلام فى العلاقة بين المسلمين من خلال النقاط التالية:

١- العلاقة بين المسلمين على وجه العموم : لقد ربط الإسلام بين المسلمين الذين يؤمنون إيماناً كاملاً، فيعملون على تنفيذ أوامر الله تعالى واجتتاب نواهيه برباط قوى متين وهو رباط الأخوة الإيمانية وقد أطلق عليها القرآن الكريم اسم الأخوة ، هذا الاسم الذى يعنى الأخوة فى النسب ، ولم يطلق عليها اسم الأخوان الذى يعنى علاقة المصاحبة والمرافقة، ليثبت أن الأخوة الإيمانية رابطة قوية مثلها مثل رابطة الأخوة فى النسب، وعبر عنها تعبيراً رائعاً يفيد الحصر ، وذلك فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وروى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يئتمه من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة"<sup>(١)</sup>.

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى - باب الترغيب فى ستر المسلم والترهيب من هتكه وتبع عورته - ج ٣ - ص ١٧٥ - حديث رقم ٢ - مكتبة شباب الأزهر.

ولقد جعل الإسلام للمسلم على أخيه المسلم حقوقاً كثيرة تشير  
إشارة واضحة إلى سماحة الإسلام القوية في هذه العلاقة، من هذه  
الحقوق: "أن تسلم على أخيك المسلم إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك، وتشمته  
إذا عطس، وتعوده إلى مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا  
أقسم، وتنصح له إذا استتصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب، وتحب  
له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، ومنها: ألا تؤذى أحداً من  
المسلمين بقول ولا فعل، وأن تتواضع للمسلمين فلا تتكبر عليهم، ولا  
تسمع وشايا بعضهم في بعض، ولا تبغ بعضهم ما تسمع من بعض،  
ومنها: أن لا تزيد في الهجر على ثلاثة أيام لمن تعرفه، وأعلم أن هذا  
الهجر إنما هو فيما يتعلق بأمور الدنيا، أما حق الدين، فإن هجران أهل  
البدع والأهواء والمعاصي ينبغي ما لم تظهر منهم التوبة والرجوع إلى  
الحق، بعد نصحهم وبيان الصواب لهم، ومنها: أن تخالق المسلمين  
بخلق حسن، وذلك أن تعامل كلأ بحسب ما يناسبه، فإنه متى تلقى  
الجاهل بالعلم، واللاهى بالفقه، والغبي بالبيان، تؤذى وتتأذى.  
ومنها: أن يوقر المشايخ، ويرحم الصغار، وأن يكون مع الخلق  
كافة طلق الوجه رقيقاً، وأن يفى بالعهد، وينصف الناس من نفسه، ولا  
يأتى إليهم إلا ما يحب أن يؤتى به"<sup>(١)</sup>.

ومن الأحاديث النبوية التي ترشد إلى هذه الحقوق: ما روى عن  
البراء بن عازب رضى الله عنه قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسبع: بعبادة

(١) راجع توجيهات للدعاة والمصلحين في ضوء هدى إمام المرسلين صلى الله عليه  
وسلم د/ أحمد عبد المبدى أحمد - ص ١٩٦ - ط الأولى - مطبعة الحسين الإسلامية.

المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، ونصر الضعيف، وعون المظلوم، وإفشاء السلام، وإبرار القسم ..<sup>(١)</sup>.

وما روى عن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"<sup>(٢)</sup>.

٢- العلاقة بنساء المسلمين : لا شك أن النساء فى أى مجتمع يمثلن الجانب الآخر منه، وفى المجتمع الإسلامى هن مكلفات بكثير من التكاليف التى كُلف بها الرجال ، كما أنهن يقمن ببعض الواجبات الاجتماعية التى يستطيعها الرجال.

ولقد كرم الإسلام المرأة فى كل مراحل حياتها، فقد كرمها بنتاً وأختاً وزوجة وأماً، وحفظ لها إنسانيتها، وحافظ عليها من كل ما يחדش حياءها أو يسئ إلى عفتها وكرامتها. ودعا إلى حسن معاملتها، ومما يدل على ذلك - إلى جانب بعض الآيات القرآنية التى ورد ذكرها فى

---

(١) صحيح البخاري بحاشية الندى - كتاب الاستئذان - باب إفشاء السلام - ج ٤ - ص ٨٧.

(٢) سنن ابن ماجه - ٣٣ كتاب الأدب - باب إفشاء السلام - الحديث رقم ٣٦٩٢ - ص ١٢١٧ - مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

النقطة الأولى من المطلب الأول - بعض الأحاديث التي وردت عن الرسول ﷺ ومنها: ما روى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خياركم خياركم لنسائهم"<sup>(١)</sup>.

وروى عن انس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "حُبب إلى من الدنيا النساء والطيب وجُعِل قرة عيني في الصلاة"<sup>(٢)</sup>.

وروى عن أم العلاء رضى الله عنها قالت: عادنى رسول الله ﷺ وأنا مريضة، فقال: "أبشرى يا أم العلاء فإن مرض المسلم يذهب الله به خطاياها كما تذهب النار خبث الذهب والفضة"<sup>(٣)</sup>.

فهل يوجد ما يشير إلى السماح في معاملة النساء أكثر وأبلغ

من تعبيرات الخيرية والحب وعبادة النبي ﷺ لمرضى النساء؟؟

٣- العلاقة بأطفال المسلمين : الطفولة مرحلة هامة وشريحة مهمة من شرائح المجتمع، فلو نالت هذه المرحلة حقها من التربية السليمة، والتعاهد المستمر بالتوجيه والتهديب، لأعطت المجتمع جيلاً صالحاً يساهم في إصلاح المجتمع وتنميته والارتقاء بشئونه في جميع المستويات.

---

(١) المرجع السابق - ٩ كتاب النكاح - ٥٠ باب حسن معاشره النساء - حديث رقم ١٩٧٨ - ج١ - ص ٦٣٦ .

(٢) سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي وحاشية السندي - كتاب عشرة النساء - باب حب النساء - ج٧ - ص ٦١ - دار الحديث.

(٣) سنن أبى داود - كتاب الخراج والإمارة والفئ - باب عبادة النساء - حديث رقم ٣٠٩٣ - ج ٣ - ص ١٨٠ - دار الحديث.

ولأهمية هذه المرحلة اهتم الإسلام بالأطفال وأرشد إلى الأسلوب الذى يتناسب معهم، وهو الأسلوب الذى يحتوى على اللطف والتسامح، يفهم ذلك من قول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم، وهو يوجه ابنه التوجيه السليم إذ يناديه بلطف وحنان: ﴿وَإِذْ قَالَ لَقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تدل دلالة واضحة على هذا الأسلوب الرحيم منها:

"عن أنس رضى الله عنه أنه كان يمشى مع رسول الله ﷺ فمر بصبيان فسلم عليهم"<sup>(١)</sup>.

وروى ابن ماجة عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم"<sup>(٢)</sup>.

وجاء فى صحيح الإمام مسلم - رحمه الله عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ يؤم الناس وأمامة بنت أبى العاص، وهى ابنة زينب بنت النبى ﷺ على عاتقة فإذا ركع وضعها، وإذا رفع من السجود أعادها"<sup>(٣)</sup>.

هذه توجيهات نبوية: قولية وعملية ملينة بالسماحة واللطف والعطف فى العلاقة مع الأطفال بين منظومة توجيهات المنهج الإسلامى الذى ارتضاه الحكيم العليم اللطيف الخبير الذى أنزله الله على رسوله ﷺ ولم يجعل فيه عوجاً.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى - كتاب السلام - باب استحباب السلام على الصبيان - ج٤ - ص ١٤٩ .

(٢) الترغيب والترهيب للمنذرى - ج٣ - ص ٨٦ - ٨٧ .

(٣) صحيح الإمام مسلم بشرح النووى - كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب جواز حمل الصبيان فى الصلاة - ج٥ - ص ٣١ .

## المطلب الثالث

### سماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين

الإسلام هو دين الرحمة الذى ختم به الرحمن الرحيم رسالاته إلى البشر، ورسول الإسلام الذى جعله الله تعالى خاتماً لرسله وأنبيائه، هو رحمة الله للعالمين، فهو ﷺ رحمة بطبعه وسلوكه ومعاملته، وهو رحمة بدعوته وبكل ما اشتملت عليه، ولا أدل على هذه الحقيقة من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقوله تعالى فى شأن الدعوة: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ..﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وسماحة الإسلام فى العلاقة مع غير المسلمين ، تتمثل مع شريحتين من شرائح المجتمع، وهما: أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، وغيرهم من الكافرين:

١- علاقة المسلمين مع اليهود والنصارى: يحرص الإسلام على أن يسود السلام العالمى بين المسلمين وبين الشعوب كلها ، ويحرص بشكل أشد على السلام بين المسلمين وبين من يؤمنون برسالة الله ولا ينكرون الوحى، وإن اختلفت صور إيمانهم عن إيمان المسلمين.

يحدد القرآن الكريم هذه النظرة فيما يختص باليهود فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحِقَّتْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْنَ النَّاسَ وَآخِشُونِي وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وفيما يختص بالنصارى يقول عز وجل: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ \* وَآيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٦-٤٧].

ولقد ضرب الرسول ﷺ وصحابته رضى الله عنهم أروع الأمثلة للسماحة فى علاقة المسلمين باليهود والنصارى ومن هذه الأمثلة : ما روى عن أنس رضى الله عنه أن غلاماً من اليهود كان مرض، فأتاه النبى ﷺ يعمده، فقعده عند رأسه، فقال له: أسلم فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فأسلم، فقام النبى ﷺ وهو يقول: "الحمد لله الذى أنقذه بى من النار" (١).

كان النبى ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشى مجالسهم، ويواسيهم فى مصابهم، ويعود مرضاهم، ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة، يحكمها قانون واحد، وتشغل مكاناً مشتركاً، فقد كان ﷺ يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً، ولم يكن ذلك

(١) سنن أبى داود - كتاب الخراج والأمانة والفق - باب فى عيادة الذمى - حديث رقم

عجزاً من أصحابه رضوان الله عليهم عن إقراضه، فإن بعضهم كان ثرياً، وكلهم يتلطف على أن يقرض رسول الله ﷺ بل كان يفعل ذلك تعليماً للأمة، وتثبيتاً نملياً لما يدعو إليه من سلام ووثام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقة المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم<sup>(١)</sup>.

وقد فهم الصحابة رضی الله عنهم هذا المنهج المتسامح مع اليهود والنصارى، فساوروا على هذا النهج الحكيم.

ففي خلافة أبي بكر الصديق رضی الله عنه عاهد خالد بن الوليد أهل الحيرة على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرأ يتحصنون فيه، وعلى أن لا يمنعوا من ضرب نواقيسهم، أو إخراج الصلبان في يوم عيدهم، على أن لا يعينوا كافرأ على مسلم، ولا يتجسسوا لحساب الكفار على المسلمين، ونص في المعاهدة على أن الجزية يعفى منها الشيخ الذي عجز عن العمل، أو أصابته آفة، أو كان غنياً فافتقر، وليس ذلك فحسب، بل يعال هو وأولاده من بيت مال المسلمين ما أقام بدار الإسلام<sup>(٢)</sup>.

ثم جاءت سيرة المسلمين الأولين الذين تفرقوا في أنحاء الأرض على خير ما تكون السماحة، فعاشروا أبناء الأمم من الروم والفرس والترك والديلم والبربر، دون أن يتخرجوا بنمط من أنماط المعيشة، ولا بأسلوب من أساليب العرف ما لم يكن فيه مساس بالعقيدة والعبادة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع سماحة الإسلام، د/ أحمد محمد الحوفي - ص ٦٦ - ط الثانية - مطبعة نهضة مصر.

(٢) توجيهات للدعاة والمصلحين، د/ أحمد عبد المبدى أحمد - ص ٢١٤ .

(٣) التفكير فريضة إسلامية - الأستاذ العقاد - ص ١٤٦ - م دار نهضة مصر.

وهذا المسالك المتسامح ليس بمستغرب عن الإسلام، فهو دين الرحمة، ونبيه رسول الرحمة، وكل من يتبع منهجه تقوده الرحمة إلى صراط الله المستقيم في كل المجالات وسائر المعاملات.

٢- علاقة المسلمين مع المشركين : الإسلام دين الرحمة الشاملة للعالمين، فلا فرق في رحمته بين خلق الله، فهو يدعو أتباعه أن يعاملوا كل من لا يعتدى عليهم ولا على دينهم بالبر والقسط، يتضح ذلك من قول الله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة:٨].

فالعلاقة المسلمين مع الكافرين تنسم في جوهرها بالسماحة والسلام طالما لم يحدث منهم اعتداء على العقيدة أو الأوطان. والصلح مع العدو أصل عام مقرر في الإسلام، وأما الحرب فهي أمر طارئ على أصل العلاقات السلمية مع غير المسلمين، والقرآن الكريم يقرر هذا الأصل بقوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة:١]، وقوله: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال:٦١]، والأمر في ذلك للوجوب إذ لا صارف له عن حقيقة مقتضاه، وهو قبول المسالمة، والمسالمة هي طلب السلامة من الحروب وآلامها، ولذلك قال بعض الفقهاء: إن المقصود من الجهاد هو جهاد الوسائل لا الغايات ،

بمعنى أن المقصود نشر الدعوة وتبليغها سلمياً، فإذا تحقق هذا الغرض كان مقدماً على الجهاد بالقتال<sup>(١)</sup>.

ومما يدل على العلاقة المتسامحة مع الشركين صلح الحديبية، يقول الأستاذ وحيد الدين خان: "فصلح الحديبية عام ٦٢٦م هو من أهم أحداث الكفاح الاجتماعي الإسلامي، وتقول سورة الفتح عن هذا الصلح: ﴿وَعَدُّكُمْ اللَّهُ مَعَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢٠]، وهذه الآية التي تتعلق بصلح الحديبية توضح أنه كما يوجد صراط مستقيم للعبادات وللأخلاق فهناك - أيضاً - صراط مستقيم لأمر الصلح والأمن والقتال"<sup>(٢)</sup>.

فسماحة الإسلام مع كل فئات المجتمع - بدرجة من الوضوح - لا يستطيع أحد إنكارها إلا إذا كان مغرضاً أو صاحب هوى تقول الدكتور زيغريد هونكة في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، ولعل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم ، حتى إن الملك الفارسي (كيروس) قال : إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون

---

(١) محمد رسول الإسلام والسلام - د/ نصر فريد واصل - ص ٨٦ - سلسلة دراسات في الإسلام - العدد ١٨٠ - بصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مطابع الأهرام التجارية.

(٢) واقعنا ومستقبلنا في ضوء الإسلام - وحيد الدين خان - ترجمة د/ سمير عبد الحميد إبراهيم - ص ٨٦ .

مخربين، فما يدعيه من اتهامهم بالتعصب، ما هو أسطورة من نسيج الخيال، تكذبها آلاف الأدلة<sup>(١)</sup>.

فسماحة الإسلام حقيقة منهجية وظاهرة تاريخية تظهرها كل مراحل التاريخ المتعاقبة، فسماعته قوية شامخة لا يستطيع النيل منها أى مغرض أو صاحب هوى.

---

(١) راجع السماحة فى الإسلام والمسيحية - إبراهيم أحمد الوقفى - ص ٦٥ - م دار الفكر العربى.

## أهم المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : كتب التفسير :

- ١- تفسير القرآن الكريم للإمام الحافظ ابن كثير - مكتبة التراث الإسلامي.
- ٢- التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي - دار إحياء التراث العربي.
- ٣- التفسير الوسيط للقرآن الكريم - د/ محمد سيد طنطاوي - مطبعة السعادة.

ثالثاً : كتب الحديث :

- ٤- الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى - مكتبة الدعوة الإسلامية.
- ٥- سنن أبي داود - دار الحديث.
- ٦- سنن ابن ماجة تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية.
- ٧- سنن النسائي - دار الحديث.

رابعاً : معاجم اللغة ودوائر المعارف.

- ٨- دائرة معارف القرن العشرين - محمد فريد وجدي - دار المعرفة - بيروت.
- ٩- لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت.
- ١٠- المصباح المنير للرافعي - تحقيق د/ عبد العظيم الشناوي - دار المعارف.

١١- المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية - مطابع وزارة التربية والتعليم

خامساً : الكتب الأخرى :

- ١٢- إحياء علوم الدين الإمام الغزالي - المكتبة التجارية الكبرى.
- ١٣- التفكير فريضة إسلامية - العقاد - دار نهضة مصر.
- ١٤- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - ابن مسكويه - المطبعة المصرية.
- ١٥- توجيهات للدعاة والمصلحين - د/ أحمد عبد المبدى أحمد - مطبعة الحسين الإسلامية.
- ١٦- حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهولى - مكتبة الدعوة الإسلامية.
- ١٧- سماحة الإسلام - د/ أحمد محمد الحوفى - مطبعة نهضة مصر.
- ١٨- السماحة فى الإسلام والمسيحية - إبراهيم أحمد الوقى - دار الفكر العربى.
- ١٩- محمد رسول الإسلام والسلام - د/ نصر فريد واصل - مطابع الأهرام التجارية.
- ٢٠- معلمة الإسلام - أنور الجندى - دار الصحوة.
- ٢١- منهج الإسلام فى العقيدة والعبادة والأخلاق - د/ أحمد عمر هاشم - دار المنار للنشر والتوزيع.
- ٢٢- واقعنا ومستقبلنا فى ضوء الإسلام - وحيد الدين خان - دار الصحوة.